

بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة موقع في قاء الخجل

بين الربط والفتح قضية وصراع ضحاياه في الدرجة الأولى نسوة وبنسبة ضعيفة وهامشية رجال! وبين الربط والفتح موت! لذا أود أن أنقلكم سادتي إلى عالم آخر عالم يشبه الموت إن لم يكن الموت نفسه. إنه عالم الربط والتصفيـد. في حدود قراءاتي المتواضعة يبدو لي أن فضيلة أول من تعرض لهذه القضية في عالم الإبداع قضية التصفيـد، "ما أبغـع أن تكون الواحدة منا عروسـا".^١

لذا حري بي أن أسأـل عن تاء الخجل هل هي مربوطة أم مفتوحة؟

في أصل تكونها ونشأتها وفي الفترة تأبـى أن تكون إلا مفتوحة إذ كل التاءـات الدالة على التأكـيث والواردة في القرآن جاءـت مفتوحة إلا تاءـ (الصلةـ/الصلـاتـ).

أما تاءـ الخجل فيبدو لي أنهاـ في حيرةـ من أمرـها لأنـها عرضـةـ للوـأدـ من حينـ لآخرـ، ولـذاـ فهيـ تعـيشـ حالةـ اضـطـرـابـ وـالـلاـ استـقـرارـ بينـ الـرـبـطـ وـالـفـتحـ، بـينـ منـ شـئـ أنـ تكونـ مـرـبـوـطـةـ وـمـنـ شـاعـواـ أنـ تكونـ مـفـتوـحةـ. فيـؤـولـ بـهاـ الـأـمـرـ إـلـىـ الموـتـ غـدرـاـ أوـ اـغـتصـابـاـ أوـ اـنـتـحـارـاـ، وـفـيـ الـبـدـءـ كـانـ الـوـأدـ.

إنـ تاءـ الخـجلـ إنـ كانـ مـفـتوـحةـ كـماـ يـوـحيـ العنـوانـ باـعـتـبارـهـ مـفـتـاحـ الـلـوـجـ إـلـىـ عـالـمـ النـصـ، فـإـنـ المـتنـ يـوـحيـ بـأنـهاـ مـرـبـوـطـةـ، وـلـاـ تـفـتحـ إـلـاـ بـحلـ سـحـريـ، وـسـبـبـ رـبـطـهاـ؛ـ الـخـوفـ مـنـ الـعـارـ، وـالـاغـتصـابـ، وـالـعـهـرـ، وـفـيـ ذـاتـ الـوقـتـ هـذـاـ الـرـبـطـ يـحـمـيـ ثـنـائـيـةـ؛ـ خـفـيـةـ /ـظـاهـرـةـ وـمـتـاقـضـةـ، وـثـنـائـيـةـ الـمـوـتـ وـالـحـيـاةـ، فـالـرـبـطـ وـالـتـصـفيـدـ يـحـمـيـ الـبـنـتـ مـنـ الـحـلـ وـالـفـتحـ مـنـ الشـابـ غـيرـ الـمـنـاسـبـ وـغـيرـ الزـوـجـ الشـرـعيـ، وـحتـىـ الـزـوـجـ لـاـ يـقـومـ بـالـفـتحـ إـلـاـ بـعـدـ أـنـ يـبـطـلـ مـفـعـولـ السـحـرـ فـأـوـلـ الـفـتحـ يـأـتـيـ مـنـ قـبـلـ مـنـ قـامـتـ بـالـسـدـ وـالـغـلـقـ ثـمـ يـأـتـيـ دـورـهـ.

والتناقض يتمثل في تشجيع البنت - اللا مقصود - على المعاشرة البرانية مع من تحب لأنها تعلم/إن علمت^{**} أن الولوج يستحيل مادامت مصفدة وكل الحسابات مبنية على الولوج فتحرف البنت وتصبح لعوبة، وهذا الأمر لا يحسب له من قبل الأهل وبالأحرى الأم، إضافة إلى بعض العواقب الثانوية التي تجعل البنت ربما تعيش في فلق أكثر مما تعيش في راحة.

في الرابط والتصفيد تكمن الحياة والموت، فهي حية كجسد وانفعال لكن جزءا من هذا الجسد ميتا مصفدا لأنها لا تملك حريتها متحكم فيه في غالب الأمر من شخصية منسية أو مجهولة وإن كانت معروفة فهي عرضة للقضاء والقدر، أما إن كانت البنت لا تعلم فإن أوضاعها عرضة للتآزم يوم زفافها ويوم دخلتها، وإن كانت تعلم بحالها فقد تتشجع على تحدي الرجال ويصبح الأمر لها لعبة وتصير علامة دالة بين الذكور، وما كان شبحا مخيفا بالنسبة للأهل يصير واقعا.

هذا هو الخوف الذي أرق الروائية وجعلها ترفض مثل هذه التقاليد التي تقييد كل شيء لا يسلم منها لا المرأة ولا الرجل ولا يعني ذلك دعوة منها لإثارة الفتنة أو نشر الرذيلة إنما الصورة الملعونة التي تتهيأ لها النساء بقلوب واجفة مرتجفة مترببة، ثوب العروس وفحولة الذكور، وإعلان النحر الموفق، و إلا كانت الكارثة بين الأسرتين أسرة العريس وأسرة العروسة لذا تقول الكاتبة "ما أبشع أن تكون الواحدة منا عروسا". هذا هو الموت الأولى، والموت الحقيقي لكلا الطرفين وهلا ترك الناس على فترتهم بلا سحر ولا شعوذة. إنه التعدي الأول والانتهاك الحقيقي لجسد الأنثى والتعدي الثاني على كرامة الرجل الذي وبلا شك سيصير محل الشبهة بين أقرانه لأن فحولته انحنى أمام الأنوثة، وأن الأنوثة تحولت إلى جدار أنهك قواها العقلية والجسدية (الضمير يعود على الأنوثة). أي ثقافة هذه التي تئد الأجساد وهم أحياء، هذا هو الموت الأول الذي يمارس بين النساء المربوطة والنساء المفتوحة لا لسبب سوى تاء الخجل أن تكون أنثى، موت وقتل يمارسه الأهل ضد أبنائهم، وهو نوع من الإرهاب الخفي قبل أن يقوم الإرهاب الحقيقي بممارسته.

إن فضيلة كمبودة تحمل رسالة حضارية مشفرة تبثها من خلال نصوصها تستتر فيها القوم، وترد صوراً شتى لجسد الأنوثة وما يفعل به وقد تقوم هي بممارسة فعل الموت على بعض أبطالها وتستثنى من تحب وذلك من أجل لفت انتباه أفراد المجتمع إلى ما يحيط بهذا الجسد المنهوك الذي ترعبه ليلة الفرح.

إن **الربط والتصفيد** هو نوع من الاغتصاب الخفي الذي يعد موتاً مؤقتاً أو خفياً، موت بشع لأنه يأتي من ثنائية الاغتصاب والتصفيد الذي لم يهتم به المجتمع ليشرع له قوانين رادعة تحمي الجسد المنهوك، وبشع لأنه يحمل ثنائية ضدية حائط الأنوثة وانحاء الذكورة، والتهمة ثنائية تشكيك في عفة الأنوثة وفي فحولة الذكورة التي لم تستطع إنجاز الفتح. تقول الرواية: تقرب سهام ابنة عم البطلة منها وتوشوش لها:

هل رأيت العروس، كانت مصفحة (ص26)

لم ترد عليها. تقول: كرهت نفسي وكرهت منظر النساء.²

إن الحديث عن المصفحات³ وتخليله في صفحات الرواية، يعد فلقاً حضارياً يثير الوجع! وسبقاً سردياً وسمة حميدة تحسب لفضيلة الفاروق. لذا قمت باستبيان في شهر أبريل سنة 2007 على عينة ضمت ستين طالبة كانت الإجابة من ثمانية وخمسين وكانت النتائج كالتالي:

76.3 بالمائة لا يؤمن بالتصفيد

92.72 بالمائة لا يعاني من التصفيد

60 بالمائة لا يرى فيه واقياً

94.54 يفضلن التربية الصالحة على التصفيد

29.09 منهن مصففات (النسبة مرتفعة في نظري كمثقف)

نسبة الخوف من عقدته بلغت 40 بالمائة

الملاحظة الإيجابية التي توقفنا عنها هي أن 83.63 بالمائة يرفضن التصفيد مما يؤيد رأي الكاتبة "ما أبشع أن تكون الواحدة منا عروساً، وأن نسبة

الخوف على البنت تكون لدى الأم باعتبارها هي التي تقوم بالتصفيـد فاللائي صفتـهن أمهاتـهن بلـغـن 37.5 بالمائـة ثم العـمـة 15.50 بالمائـة.

وأخـيرـاً فـإنـ نـسـبةـ 60ـ بـالـمـائـةـ مـنـ الـبـنـاتـ لـاـ يـعـلـمـ بـأنـهـ مـصـفـدـاتـ وـهـذـاـ قـدـ يـثـيـرـ قـلـقاـ لـدـيـهـنـ وـرـبـماـ نـسـتـنـجـ أـيـضـاـ أـنـ الـحـوارـ بـيـنـ الـأـمـ وـالـبـنـتـ يـكـونـ مـحـطـ السـؤـالـ مـادـامـتـ هـذـهـ النـسـبةـ تـجـهـلـ إـنـ كـانـتـ مـصـفـدـةـ أـوـ غـيرـ مـصـفـدـةـ،ـ وـهـيـ نـسـبةـ تـثـيـرـ القـلـقـ بـعـنـىـ أـنـ الـمـوـتـ يـحـيـطـ بـالـجـوـ الأـسـرـيـ وـأـنـ التـوـاـصـلـ الـذـيـ يـحـيـ النـفـوسـ يـنـدـعـمـ،ـ لـأـقـولـ هـذـاـ الـذـيـ تـقـصـدـهـ الـكـاتـبـةـ إـنـمـاـ هـذـاـ مـدارـ الرـعـبـ بـيـنـ التـاءـ الـمـرـبـوـطـةـ وـالتـاءـ الـمـفـتوـحةـ.

تـقـومـ الـرـوـاـيـةـ بـمـارـسـةـ فـعـلـ الـقـتـلـ عـنـ طـرـيقـ الـأـبـ عـلـىـ أـصـغـرـ أـنـثـىـ مـشـرـوعـ بـنـاءـ الـأـسـرـةـ "ـرـيـمةـ"ـ الصـغـيرـةـ الـتـيـ اـغـتـصـبـتـ مـنـ قـبـلـ رـجـلـ أـحـدـ وـقـصـيرـ فـيـ الـأـرـبـعـينـ مـنـ عـمـرـهـ يـقـومـ وـالـدـهـاـ بـرـمـيـهـاـ مـنـ أـعـلـىـ جـسـرـ فـيـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ جـسـرـ "ـسـيـديـ مـسـيدـ"ـ بـقـسـنـطـيـنـيـةـ.

هـذـهـ قـسـوةـ الـأـهـلـ ضـدـ الـمـغـتـصـبـاتـ وـلـوـ فـيـ سـنـ مـبـكـرـ،ـ سـنـ الصـغـرـيـاتـ.ـ "ـيـمـيـنـةـ"ـ الـكـبـرـىـ رـفـضـهـاـ أـهـلـهـاـ وـلـمـ يـعـرـفـواـ بـهـاـ رـغـمـ عـلـمـهـمـ بـأـنـهـاـ خـطـفـتـ وـأـمـامـ أـعـيـنـهـمـ،ـ وـلـمـ زـارـهـاـ أـخـوـهـاـ الـجـنـدـيـ وـجـدـهـاـ قـدـ مـاتـتـ.ـ فـالـرـوـاـيـةـ مـارـسـتـ فـعـلـ الـقـتـلـ وـالـمـوـتـ عـلـىـ "ـيـمـيـنـةـ"ـ لـحظـاتـ قـصـيرـةـ قـبـلـ دـخـولـ أـخـيـهـاـ الـذـيـ "ـرـبـماـ"ـ سـيـعـتـرـفـ بـهـاـ وـيـرـفـعـ مـنـ مـعـنـاوـيـاتـهـاـ لـأـنـهـ مـنـ الـجـيلـ الـجـدـيدـ لـكـنـ الـكـاتـبـةـ لـمـ تـمـكـنـهـ مـنـ ذـلـكـ،ـ لـأـنـهـ تـمـارـسـ فـعـلـ الـمـجـتمـعـ وـتـعـكـسـ وـاقـعـهـ وـمـعـنـقـاتـهـ وـتـقـافـتـهـ عـبـرـ صـفـحـاتـ الـرـوـاـيـةـ.

وـرـغـمـ ذـالـكـ فـضـيـلـةـ الـفـارـوقـ تـبـحـثـ عـنـ "ـهـوـاءـ لـاـ تـمـلـؤـهـ رـائـحةـ الـاـغـتـصـابـ"⁴ـ كـمـاـ تـقـولـ،ـ وـلـاـ روـائـحـ الـمـوـتـ،ـ إـذـنـ لـابـدـ مـنـ "ـالـرـحـيـلـ"ـ وـالـرـحـيـلـ فـيـ حـدـ ذاتـهـ مـوـتـ لـأـنـهـ يـعـادـلـ الـبـقـاءـ،ـ وـالـبـقـاءـ مـوـتـ.

إن البقاء في الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي يساوي الانتحار أو الموت ومن ثم فالبقاء بالنسبة للأئم المبدعة كفضيلة أو أي صحفية أو كاتبة جريئة معناه الانتحار أو الموت ومن ثم تكون المعادلة كالتالي:

التصفيد = الموت

البقاء = الانتحار

البقاء = الاغتصاب

البقاء = الموت غدرا

الرحيل = ثنائية ضدية البقاء والموت.

إن الرحيل هو نوع من الموت لأن الحياة في بلاد الغير هي كالموت مهما توفرت سبل العيش الحضارية، فرائحة التراب والأهل والتوابيل الروحية التي تتبثق من هنا وهناك ومن مختلف تضاريس هذا الوطن هي التي تنعش النفس وتدفع عنها الحزن ولو كانت الحياة شاقة.

الرحيل هو نوع من الموت الثاني، وهو نوع من الاحتجاج على ما هو سائد في الوطن في التسعينيات من القرن الماضي (1991 إلى 2007 لأن الموت بفعل الإرهاب لم ينته بعد).

في هذه المعادلة يغدو الرحيل وما فيه من الضجر والقلق النفسي والحسنة التي تصحب هذا الرحيل لأفضل من البقاء المحاط بالثلاثي الملعون:

1 الموت غدرا برصاصة طائمة، أو برصاصة تتطلق من مسدس جبان لأنه لا يقوى على المواجهة النذللند فكرا وبدنا.

2- الاغتصاب تحت سلطة "المحسوسة"⁵ والسيف المسلط على الرقاب وما شابه ذلك.

3- الانتحار سببه في الرواية: السبي والاغتصاب عنوة، وال فعل القبيح أمام الجمع متى رفضت الحرية الامتثال لرغبات الخاطفين.

وفضيلة تعالج في روایتها قضية الأنثى الجسد المنهوك لا من زاوية سلط الذكور على الإناث، وإنما من زاوية امرأة تنتمي بجذورها العميقة في التاريخ إلى مجتمع كانت السيادة فيه للمرأة أيام "ديهيا".*

فضيلة كل الأوراسيات اللائي نشأن في الريف يعشن بعقلية "ديهيا" التي اختصرها في هذا المثل البلige القائل "يما بابا ساكو يشور"** أي ما معناه "ملء الخزينة أبي وأمي".

إن تمردتها أو رفضها جاء نتيجة وراثية لا كنتيجة مكتسبة من التعليم المزدوج أو من المدينة، جاء من بيئتها الأوراسية الجبلية التي منحت للمرأة لا أقول هامشاً واسعاً من الحرية وإنما حرية تامة.

أنا لا أتحدث عن التحرر وإنما عن الحرية كان الرجل في الأوراس يقدس المرأة كما قدسها الإسلام ويحترمها وسن لذلك قوانين هي بمثابة العرف في القانون المدني الحالي، يمكن المرأة من ممارسة شؤونها بكل حرية دون أن يعترضها الرجل ولو بنظرة. أكد لكم جازماً أن هذه الحرية هي التي جعلت ظاهرة الطلاق وهو أبغض الحال عند الله يكون سهلاً في المناطق الأوراسية، وقد تطلق المرأة الرجل طبقاً للمثل السابق الذي أوردته في معرض حديثي عن التمرد والحرية، لذا فهي تنظر إلى القمع الاجتماعي الواقع على المرأة من هذه الزاوية زاوية حفيدة "ديهيا" أولاً وزاوية المرأة المتعلمة ثانياً.

ففي حواراتها التي قرأتها لا تتهجم على الدين أو تزدريه كما ينظر إليها بعض المتفقين والذين يدعون أنهم قرأوها، ففي مختلف خطاباتها الإلكترونية التي ترسلها لي، كنت أجد فيها ولها دائماً وجهة نظر صائبة تجاه الدين، وأن مسألة الدين ونظرته للمرأة زيفت من قبل أدعيائه. (لا ننس بأنها من أسرة متدينة أباً عن جد أسرة متعلمة كانت تمارس الطب وأغلب أفراد أسرتها دكاترة في العلوم الدقيقة).

هذا الدين الجديد هو الذي جاء بثقافة جديدة ثقافة سلطة الذكور على الإناث، لكن سلطة الأئمة الموروثة في العروق بقيت سائدة في المرأة الأوراسية

وبقي ذلك الرفض ملزماً لها في دمائها، ففضيلة لا ترفض قيم الإسلام وإنما ترفض القيم التي بالغوا فيها إلى أن وصلت درجة التحريف، المرأة لا تتكلم، لا تتعلم، لكي لا تعرف الكتابة وحتى لا تكون ساحرة، لا ترفع رأسها، تصفق عند سؤال سائل عن رب البيت حين يكون غائباً، ربما لأن الأذن تعشق قبل العين أحياناً.

إذن رفض فضيلة فيه من الأصلة ما يبني لا ما يهدم لأن فيه من الحشمة ما يدل على ذلك.

فضيلة في روایتها مارست كل شيء، مارست الحب، والقتل والرحيل، أي جنون هذا الذي تفعله هذه الروائية الصاعدة. كيف لعاشرة⁶ كالراوية تعشق نصر الدين وتعمل جاهدة على إبعاده عن القتل وفي ذات الوقت تقتل أبطالها وتتكبّهم وتجنّنهم وتتلذذ بجنونهم تلذذ الكتابة الإبداعية أو ترحلّهم هذا ما تقوله في صفحة 87 "قتلت كل أبطالي تقريباً لم يبق غير نصر الدين أبعدته أكثر من مرة عن الموت اخترعت له ألف سبب للقائي ولكن بطلني التي ارتديت قناعها لم تعد تفك بالحب صارت تفك بالرحيل." وهذا القول جعلني أخلص إلى مصير الشخصيات في تاء الخجل والذي حددته بين تاء المربوطة وتاء المفتوحة وهو: "رزيقة" انتحرت، "يمينة" المغتصبة ماتت و"يمينة" الصغرى أخرست بفعل أمر من والدتها "tais toi yamina" (بمعنى اصمتني) وسكتت إلى الأبد وهذا ما يجسد فعل القمع الممارس ضد الأنثى. أما "راوية" فجنت وهذا نوع من إسقاط الذات الفنية على شخصها إذ لابد "للراوية" أن تجن ليكتمل فعل القص والإبداع وإن فضيلة الفاروق ستخسر فعل السرد إلى الأبد وينتهي فعل القص ولا نتمكن من قراءة "اكتشاف الهوة".

الدكتور: عبد الرحمن تبرماسين
قسم الأدب العربي
جامعة محمد خيضر بسكرة
البريد الإلكتروني: daha_tiber@hotmail.com

بين التاء المربوطة والمفتوحة موت في تاء الخجل

بين الربط والفتح قضية وصراع ضحاياه في الدرجة الأولى نسوة وبنسبة ضعيفة وهامشية رجال! وبين الربط والفتح موت! لذا أود أن أنقلكم سادتي إلى عالم آخر عالم يشبه الموت إن لم يكن الموت نفسه. إنه عالم الربط والتصفيـد. في حدود قراءاتي المتواضعة يبدو لي أن فضيلة أول من تعرض لهذه القضية في عالم الإبداع قضية التصفيـد، "ما أبشع أن تكون الواحدة منا عروسا".⁷

لذا حري بي أن أسأـل عن تاء الخجل هل هي مربوطة أم مفتوحة؟ في أصل تكونها ونشأتها وفي الفترة تأبـى أن تكون إلا مفتوحة إذ كل التاءـات الدالة على التأنيـث والواردة في القرآن جاءـت مفتوحة إلا تاء (الصلة/الصلات).

أما تاء الخجل فيبدو لي أنها في حيرة من أمرها لأنـها عرضـة للوـأد من حين لآخر، ولـذا فهي تعـيش حالة اضطراب والـلا استقرار بين الـربط والـفتح، بين من شئـن أن تكون مربـوطة ومن شـاعـوا أن تكون مفـتوحة. فيـؤـول بها الأمر إلى الموـت غـدرـا أو اغـتصـابـا أو انـتحـارـا، وفي الـبدـء كان الوـأد.

إن تاء الخجل إن كانت مفـتوحة كما يـوحـي العنـوان باعتبارـه مـفتـاح الـلوـجـ إلى عـالم النـصـ، فإن المـتن يـوحـي بـأنـها مـربـوـطـةـ، ولا تـفتح إلا بـحل سـحـريـ، وسبـبـ رـبـطـهاـ؛ الخـوفـ منـ العـارـ، وـالـاغـتصـابـ، وـالـعـهـرـ، وـفيـ ذاتـ الـوقـتـ هـذـاـ الـربـطـ يـحملـ ثـانـيـةـ؛ خـفـيـةـ / ظـاهـرـةـ وـمـتـاقـضـةـ، وـثـانـيـةـ الـموـتـ وـالـحـيـاةـ، فـالـربـطـ وـالـتصـفيـدـ يـحمـيـ الـبـنـتـ منـ الـحلـ وـالـفتحـ منـ الشـابـ غـيرـ الـمـنـاسـبـ وـغـيرـ الزـوـجـ الشـرـعيـ، وـحتـىـ الـزـوـجـ لاـ يـقـومـ بـالـفـتحـ إلاـ بـعـدـ أـنـ يـبـطـلـ مـفـعـولـ السـحـرـ فـأـولـ الـفـتحـ يـأـتـيـ مـنـ قـبـلـ مـنـ قـامـتـ بـالـسـدـ وـالـغـلقـ ثـمـ يـأـتـيـ دـورـهـ.

وـالـتـاقـضـ يـتـمـثـلـ فـيـ تـشـجـيعـ الـبـنـتـ - الـلاـ مـقصـودـ - عـلـىـ الـمـعاـشـرـةـ الـبـرـانـيـةـ معـ منـ تـحـبـ لـأـنـهـاـ تـعـلمـ/إـنـ عـلـمـتـ*ـ أنـ الـلوـجـ يـسـتـحـيلـ مـادـامـتـ مـصـفـدـةـ وـكـلـ

الحسابات مبنية على الولوج فتحرف البنت وتصبح لعوبة، وهذا الأمر لا يحسب له من قبل الأهل وبالآخر الأم، إضافة إلى بعض العوائق الثانوية التي تجعل البنت ربما تعيش في فاق أكثـر مما تعـيش في راحـة.

في الـربط والتـصفـيـد تـكـمـنـ الـحـيـاةـ وـالـمـوـتـ،ـ فـهـيـ حـيـةـ كـجـسـدـ وـاـفـعـالـ لـكـنـ جـزـءـاـ مـنـ هـذـاـ جـسـدـ مـيـتاـ مـصـفـداـ لـأـنـهـ لـاـ تـمـلـكـ حـرـيـتـهـ مـتـحـكـمـ فـيـهـ فـيـ غـالـبـ الـأـمـ مـنـ شـخـصـيـةـ مـنـسـيـةـ أـوـ مـجـهـوـلـةـ وـإـنـ كـانـتـ مـعـرـوـفـةـ فـهـيـ عـرـضـةـ لـلـقـضـاءـ وـالـقـدـرـ،ـ أـمـاـ إـنـ كـانـتـ الـبـنـتـ لـاـ تـعـلـمـ فـإـنـ أـوـضـاعـهـاـ عـرـضـةـ لـلـتـأـزـمـ يـوـمـ زـفـافـهـاـ وـيـوـمـ دـخـلـتـهـاـ،ـ وـإـنـ كـانـتـ تـعـلـمـ بـحـالـهـاـ فـقـدـ تـنـشـعـ عـلـىـ تـحـديـ الرـجـالـ وـيـصـبـحـ الـأـمـرـ لـهـاـ لـعـبـةـ وـتـصـيـرـ عـلـمـةـ دـالـةـ بـيـنـ الـذـكـورـ،ـ وـمـاـ كـانـ شـبـحـاـ مـخـيـفـاـ بـالـنـسـبـةـ لـلـأـهـلـ يـصـيرـ وـاقـعاـ.

هـذـاـ هـوـ الـخـوـفـ الـذـيـ أـرـقـ الرـوـائـيـ وـجـعـلـهـاـ تـرـفـضـ مـثـلـ هـذـهـ التـقـالـيدـ الـتـيـ تـقـيـدـ كـلـ شـيـءـ لـاـ يـسـلـمـ مـنـهـاـ لـاـ مـرـأـةـ وـلـاـ رـجـلـ وـلـاـ يـعـنـيـ ذـلـكـ دـعـوـةـ مـنـهـاـ لـإـثـارـةـ الـفـتـنـةـ أـوـ نـشـرـ الرـذـيـلـةـ إـنـمـاـ الصـورـةـ الـمـلـعـونـةـ الـتـيـ تـتـهـيـأـ لـهـاـ النـسـاءـ بـقـلـوبـ وـاجـفـةـ مـرـتجـفـةـ مـتـرـقبـةـ،ـ ثـوـبـ الـعـرـوـسـ وـفـحـولـةـ الـذـكـورـةـ،ـ وـإـعـلـانـ النـحرـ الـمـوـفـقـ،ـ وـ إـلاـ كـانـتـ الـكـارـثـةـ بـيـنـ الـأـسـرـتـيـنـ أـسـرـةـ الـعـرـيـسـ وـأـسـرـةـ الـعـرـوـسـ لـذـاـ تـقـوـلـ الـكـاتـبـةـ "ـمـاـ أـبـشـعـ أـنـ تـكـوـنـ الـوـاحـدـةـ مـنـاـ عـرـوـسـاـ".ـ هـذـاـ هـوـ الـمـوـتـ الـأـوـلـيـ،ـ وـالـمـوـتـ الـحـقـيقـيـ لـكـلـ الـطـرـفـينـ وـهـلـاـ تـرـكـ النـاسـ عـلـىـ فـتـرـتـهـمـ بـلـاـ سـحـرـ وـلـاـ شـعـوـذـةـ.ـ إـنـهـ التـعـديـ الـأـوـلـ وـالـأـنـتـهـاـكـ الـحـقـيقـيـ لـجـسـدـ الـأـنـثـيـ وـالـتـعـديـ الـثـانـيـ عـلـىـ كـرـامـةـ الرـجـلـ الـذـيـ وـبـلـاـ شـكـ سـيـصـيرـ مـحـلـ الشـبـهـةـ بـيـنـ أـقـرـانـهـ لـأـنـ فـحـولـتـهـ اـنـحـنـتـ أـمـامـ الـأـنـوـثـةـ،ـ وـأـنـ الـأـنـوـثـةـ تـحـولـتـ إـلـىـ جـدارـ أـنـهـكـ قـوـاـهـاـ الـعـقـلـيـةـ وـالـجـسـدـيـةـ (ـالـضـمـيرـ يـعـودـ عـلـىـ الـأـنـوـثـةـ).ـ أـيـ ثـقـافـةـ هـذـهـ التـيـ تـئـدـ الـأـجـسـادـ وـهـمـ أـحـيـاءـ،ـ هـذـاـ هـوـ الـمـوـتـ الـأـوـلـ الـذـيـ يـمـارـسـ بـيـنـ التـاءـ الـمـرـبـوـطـةـ وـالـتـاءـ الـمـفـتوـحةـ لـاـ لـسـبـبـ سـوـىـ تـاءـ الـخـجلـ أـنـ تـكـوـنـ أـنـثـيـ،ـ مـوـتـ وـقـتـ يـمـارـسـهـ الـأـهـلـ ضـدـ أـبـنـائـهـ،ـ وـهـوـ نـوـعـ مـنـ الـإـرـهـابـ الـخـفـيـ قـبـلـ أـنـ يـقـومـ الـإـرـهـابـ الـحـقـيقـيـ بـمـمـارـسـاتـهـ.

إـنـ فـضـيـلـةـ كـمـبـدـعـةـ تـحـمـلـ رـسـالـةـ حـضـارـيـةـ مـشـفـرـةـ تـبـثـهـاـ مـنـ خـلـالـ نـصـوصـهاـ تـسـتـنـفـرـ فـيـهـاـ الـقـوـمـ،ـ وـتـرـدـ صـورـاـ شـتـىـ لـجـسـدـ الـأـنـوـثـةـ وـمـاـ يـفـعـلـ بـهـ وـقـدـ تـقـوـمـ هـيـ

بممارسة فعل الموت على بعض أبطالها و تستثنى من تحب و ذلك من أجل لفت انتباه أفراد المجتمع إلى ما يحيط بهذا الجسد المنهوك الذي ترعبه ليلة الفرح.

إن الربط والتصفيد هو نوع من الاغتصاب الخفي الذي يعد موتا مؤقتا أو خفيا، موت بشع لأنه يأتي من ثنائية الاغتصاب والتصفيد الذي لم يهتم به المجتمع ليشرع له قوانين رادعة تحمي الجسد المنهوك، وبشع لأنه يحمل ثنائية ضدية حائط الأنوثة وانحصار الذكورة، والتهمة ثنائية تشكيك في عفة الأنوثة وفي فحولة الذكورة التي لم تستطع إنجاز الفتح. تقول الرواية: تقرب سهام ابنة عم البطلة منها وتوشوش لها:

هل رأيت العروس، كانت مصفحة (ص26)

لم ترد عليها. تقول: كرهت نفسي وكرهت منظر النساء.⁸

إن الحديث عن المصفحات⁹ وتخليله في صفحات الرواية، يعد فلقا حضاريا يثير الوجع! وسبقا سرديا وسمة حميدة تحسب لفضيلة الفاروق. لذا قمت باستبيان في شهر أبريل سنة 2007 على عينة ضمت ستين طالبة كانت الإجابة من ثمانية وخمسين وكانت النتائج كالتالي:

76.3 بالمائة لا يؤمن بالتصفيد

92.72 بالمائة لا يعاني من التصفيف

60 بالمائة لا يرى فيه واقيا

94.54 يفضلن التربية الصالحة على التصفيف

29.09 منهن مصففات (النسبة مرتفعة في نظري كمثقف)

نسبة الخوف من عقدته بلغت 40 بالمائة

الملاحظة الإيجابية التي توقفنا عنها هي أن 83.63 بالمائة يرفضن التصفيف مما يؤيد رأي الكاتبة " ما أبشع أن تكون الواحدة منا عروسا، وأن نسبة الخوف على البنت تكون لدى الأم باعتبارها هي التي تقوم بالتصفيف فاللائي صفتنهن أمهاطن بلغن 37.5 بالمائة ثم العمة 15.50 بالمائة.

وأخير فإن نسبة 60 بالمائة من البنات لا يعلمون بأنهن مصفات وهذا قد يثير فلقا لديهن وربما نستنتج أيضاً أن الحوار بين الأم والبنت يكون محط السؤال مادامت هذه النسبة تجهل إن كانت مصفدة أو غير مصفدة، وهي نسبة تثير القلق بمعنى أن الموت يحيط بالجو الأسري وأن التواصل الذي يحيي النفوس ينعدم، لا أقول هذا الذي تقصده الكاتبة إنما هذا مدار الرعب بين النساء المربوطة والتابع المفتوحة.

تقوم الرواية بممارسة فعل القتل عن طريق الأب على أصغر أنتى مشروع بناء الأسرة "ريمية" الصغيرة التي اغتصبت من قبل رجل أحب وقصير في الأربعين من عمره يقوم والدها برميها من أعلى جسر في البلاد العربية جسر "سيدي مسید" بقسنطينة.

هذه قسوة الأهل ضد المغتصبات ولو في سن مبكر، سن الصغرىات. "يمينة" الكبرى رفضها أهلها ولم يعترفوا بها رغم علمهم بأنها خطفت وأمام أعينهم، ولما زارها أخوها الجندي وجدها قد ماتت. فالرواية مارست فعل القتل والموت على "يمينة" لحظات قصيرة قبل دخول أخيها الذي -ربما- سيعترف بها ويعرف من معناوياتها لأنه من الجيل الجديد لكن الكاتبة لم تتمكنه من ذلك، لأنها تمارس فعل المجتمع وتعكس واقعه ومعتقداته وثقافته عبر صفحات الرواية.

ورغم ذلك ففضيلة الفاروق تبحث عن "هواء لا تملؤه رائحة الاغتصاب"¹⁰ كما تقول، ولا رائحة الموت، إذن لابد من "الرحيل" والرحيل في حد ذاته موت لأنه يعادل البقاء، والبقاء موت.

إن البقاء في الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي يساوي الانتحار أو الموت ومن ثم فالبقاء بالنسبة للأنتى المبدعة كفضيلة أو أي صحافية أو كاتبة جريئة معناه الانتحار أو الموت ومن ثم تكون المعادلة كالتالي:

التصفيد = الموت

البقاء = الانتحار

البقاء = الاغتصاب

البقاء = الموت غدرا

الرحيل = ثنائية ضدية البقاء والموت.

إن الرحيل هو نوع من الموت لأن الحياة في بلاد الغير هي كالموت مهما توفرت سبل العيش الحضارية، فرائحة التراب والأهل والتوابل الروحية التي تنبثق من هنا وهناك ومن مختلف تضاريس هذا الوطن هي التي تنعش النفس وتدفع عنها الحزن ولو كانت الحياة شاقة.

الرحيل هو نوع من الموت الثاني، وهو نوع من الاحتجاج على ما هو سائد في الوطن في التسعينيات من القرن الماضي (1991 إلى 2007 لأن الموت بفعل الإرهاب لم ينته بعد).

في هذه المعادلة يغدو الرحيل وما فيه من الضجر والقلق النفسي والحسنة التي تصحب هذا الرحيل لأفضل من البقاء المحاط بالثلاثي الملعون:

1 الموت غدرا برصاصة طائشة، أو برصاصة تنطلق من مسدس جبان لأنه لا يقوى على المواجهة النذ لند فكرا وبدنا.

2- الاغتصاب تحت سلطة "المحشوشة"¹¹ والسيف المسلط على الرقبة وما شابه ذلك.

3- الانتحار سببه في الرواية: السبي والاغتصاب عنوة، وال فعل القبيح أمام الجمع متى رفضت الحرمة الامتثال لرغبات الخاطفين.

وفضيلة تعالج في روایتها قضية الأنثى الجسد المنهوك لا من زاوية تسلط الذكور على الإناث، وإنما من زاوية امرأة تنتهي بجذورها العميقه في التاريخ إلى مجتمع كانت السيادة فيه للمرأة أيام "ديهيا".*

فضيلة كل الأوراسيات اللائي نشأن في الريف يعيشن بعقلية "ديهيا" التي أختصرها في هذا المثل البلويق القائل "يما بابا ساكو يشور" أي ما معناه "ملء الخزينة أبي وأمي".

إن تمردتها أو رفضها جاء نتيجة وراثية لا كنتيجة مكتسبة من التعليم المزدوج أو من المدينة، جاء من بيئتها الأوراسية الجبلية التي منحت للمرأة لا أقول هامشاً واسعاً من الحرية وإنما حرية كاملة.

أنا لا أتحدث عن التحرر وإنما عن الحرية كان الرجل في الأوراس يقدس المرأة كما قدسها الإسلام ويحترمها وسن لذلك قوانين هي بمثابة العرف في القانون المدني الحالي، يمكن المرأة من ممارسة شؤونها بكل حرية دون أن يعترضها الرجل ولو بنظرة. أكد لكم جازماً أن هذه الحرية هي التي جعلت ظاهرة الطلاق وهو أبغض الحال عند الله يكون سهلاً في المناطق الأوراسية، وقد تطلق المرأة الرجل طبقاً للمثل السابق الذي أوردته في معرض حديثي عن التمرد والحرية، لذا فهي تتظر إلى القمع الاجتماعي الواقع على المرأة من هذه الزاوية زاوية حفيدة "ديهيا" أولاً وزاوية المرأة المتعلمة ثانياً.

ففي حواراتها التي قرأتها لا تتهجم على الدين أو تزدرره كما ينظر إليها بعض المثقفين والذين يدعون أنهم قرأوها، ففي مختلف خطاباتها الإلكترونية التي ترسلها لي، كنت أجد فيها ولها دائماً وجهة نظر صائبة تجاه الدين، وأن مسألة الدين ونظرته للمرأة زيفت من قبل أدعيائه. (لا ننس بأنها من أسرة متدينة أباً عن جد أسرة متعلمة كانت تمارس الطب وأغلب أفراد أسرتها دكاترة في العلوم الدقيقة).

هذا الدين الجديد هو الذي جاء بثقافة جديدة ثقافة سلطة الذكور على الإناث، لكن سلطة الأمومة الموروثة في العروق بقيت سائدة في المرأة الأوراسية وبقي ذلك الرفض ملزماً لها في دمائها، ففضيلة لا ترفض قيم الإسلام وإنما ترفض القيم التي بالغوا فيها إلى أن وصلت درجة التحرير، المرأة لا تتكلم، لا تتعلم، لكي لا تعرف الكتابة وحتى لا تكون ساحرة، لا ترفع رأسها، تصافق عند سؤال سائل عن رب البيت حين يكون غائباً، ربما لأن الأذن تعشق قبل العين أحياناً.

إذن رفض فضيلة فيه من الأصلة ما يبني لا ما يهدم لأن فيه من الحشمة
ما يدل على ذلك.

فضيلة في روایتها مارست كل شيء، مارست الحب، والقتل والرحيل، أي جنون هذا الذي تفعله هذه الروائية الصاعدة. كيف لعاشرة¹² كالراوية تعشق نصر الدين وتعمل جاهدة على إبعاده عن القتل وفي ذات الوقت تقتل أبطالها وتتكبّهم وتجنّبهم وتتلاذ بجنونهم تلذذ الكتابة الإبداعية أو ترحلهم هذا ما تقوله في صفحة 77 "قتلت كل أبطالي تقريباً لم يبق غير نصر الدين أبعاده أكثر من مرة عن الموت اخترعت له ألف سبب للقائي ولكن بطلتي التي ارتديت قناعها لم تعد تفك بالحب صارت تفك بالرحيل." وهذا القول جعلني أخلص إلى مصير الشخصيات في تاء الخجل والذي حدّته بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة وهو: "رزيقة" انتحرت، "يمينة" المغتصبة ماتت و"يمونة" الصغرى أخرست بفعل أمر من والدتها "tais toi yamina" (بمعنى اصمتني) وسكتت إلى الأبد وهذا ما يجسد فعل القمع الممارس ضد الأنثى. أما "راوية" فجنت وهذا نوع من إسقاط الذات الفنية على شخصها إذ لابد "للراوية" أن تجن ليكتمل فعل القص والإبداع وإن فضيلة الفاروق ستخسر فعل السرد إلى الأبد وينتهي فعل القص ولا نتمكن من قراءة "اكتشاف الهوة".

الدكتور: عبد الرحمن تبرماسين
قسم الأدب العربي
جامعة محمد خضر بسكرة
البريد الإلكتروني: daha_tiber@hotmail.com

بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة موت في تاء الخجل

بين الربط والفتح قضية وصراع ضحاياه في الدرجة الأولى نسوة وبنسبة ضعيفة وهامشية رجال! وبين الربط والفتح موت! لذا أود أن أنقلكم سادتي إلى

آخر عالم يشبه الموت إن لم يكن الموت نفسه. إنه عالم الربط والتصفید. في حدود قراءاتي المتواضعة يبدو لي أن فضيلة أول من تعرض لهذه القضية في عالم الإبداع قضية التصفید، "ما أبشع أن تكون الواحدة منا عروسا".¹³

لذا حري بي أن أتساءل عن تاء الخجل هل هي مربوطة أم مفتوحة؟

في أصل تكونها ونشأتها وفي الفترة تأبى أن تكون إلا مفتوحة إذ كل التاءات الدالة على التأنيث والواردة في القرآن جاءت مفتوحة إلا تاء (الصلة/الصلات).

أما تاء الخجل فيبدو لي أنها في حيرة من أمرها لأنها عرضة للوأد من حين لآخر، ولذا فهي تعيش حالة اضطراب واللا استقرار بين الربط والفتح، وبين من شئ أن تكون مربوطة ومن شاعوا أن تكون مفتوحة. فيؤول بها الأمر إلى الموت غدراً أو اغتصاباً أو انتشاراً، وفي البدء كان الوأد.

إن تاء الخجل إن كانت مفتوحة كما يوحي العنوان باعتباره مفتاح الولوج إلى عالم النص، فإن المتن يوحي بأنها مربوطة، ولا نفتح إلا بحل سحري، وسبب ربطها؛ الخوف من العار، والاغتصاب، والعهر، وفي ذات الوقت هذا الرابط يحمل ثنائية: خفية / ظاهرة ومتناقضه، وثنائية الموت والحياة، فالربط والتصفيه يحمي البنت من الحل والفتح من الشاب غير المناسب وغير الزوج الشرعي، وحتى الزوج لا يقوم بالفتح إلا بعد أن يبطل مفعول السحر فأول الفتح يأتي من قبل من قامت بالسد والغلق ثم يأتي دوره.

والتناقض يتمثل في تشجيع البنت - اللا مقصود - على المعاشرة البرانية مع من تحب لأنها تعلم/إن علمت^{*} أن الولوج يستحيل مادامت مصفدة وكل الحسابات مبنية على الولوج فتتحرف البنت وتصبح لعوبة، وهذا الأمر لا يحسب له من قبل الأهل وبالأحرى الأم، إضافة إلى بعض العوائق الثانوية التي تجعل البنت ربما تعيش في قلق أكثر مما تعيش في راحه.

في الربط والتصفید تکمن الحياة والموت، فھي حیة كجسـد وانفعـال لكن جـزءا من هذا الجـسد مـيتا مـصـفـدا لأنـها لا تـمـلـك حرـیـتـه متـحـکـمـ فـیـھـ في غالـب الـأـمـرـ من شخصـیـة منـسـیـة أو مجـھـوـلـة وانـکـانـت مـعـرـوـفـة فـیـھـ عـرـضـة لـقـضـاء وـالـقـدـرـ، أـمـا

إن كانت البنت لا تعلم فإن أوضاعها عرضة للتآزم يوم زفافها ويوم دخلتها، وإن كانت تعلم بحالها فقد تتشجع على تحدي الرجال ويصبح الأمر لها لعبة وتصير علامة دالة بين الذكور، وما كان شبحا مخيفا بالنسبة للأهل يصير واقعا.

هذا هو الخوف الذي أرق الروائية وجعلها ترفض مثل هذه التقاليد التي تقيد كل شيء لا يسلم منها لا المرأة ولا الرجل ولا يعني ذلك دعوة منها لإثارة الفتنة أو نشر الرذيلة إنما الصورة الملعونة التي تتهيأ لها النساء بقلوب واجفة مرتجفة مترببة، ثوب العروس وفحولة الذكورة، وإعلان النحر الموفق، و إلا كانت الكارثة بين الأسرتين أسرة العريس وأسرة العروسة لذا تقول الكاتبة "ما أبشع أن تكون الواحدة منا عروسًا". هذا هو الموت الأولي، والموت الحقيقي لكلا الطرفين وهلا ترك الناس على فترتهم بلا سحر ولا شعوذة. إنه التعدي الأول والانتهاك الحقيقي لجسد الأنثى والتعدي الثاني على كرامة الرجل الذي وبلا شك سيصير محل الشبهة بين أقرانه لأن فحولته انحنت أمام الأنوثة، وأن الأنوثة تحولت إلى جدار أنهك قواها العقلية والجسدية (الضمير يعود على الأنوثة). أي ثقافة هذه التي تند الأجساد وهم أحياء، هذا هو الموت الأول الذي يمارس بين النساء المربوطة والباء المفتوحة لا لسبب سوى تاء الخجل أن تكون أنثى، موت وقتل يمارسه الأهل ضد أبنائهم، وهو نوع من الإرهاب الخفي قبل أن يقوم الإرهاب الحقيقي بممارسته.

إن فضيلة كمبودة تحمل رسالة حضارية مشفرة تبتها من خلال نصوصها تستنفر فيها القوم، وتترد صورا شتى لجسد الأنوثة وما يفعل به وقد تقوم هي بممارسة فعل الموت على بعض أبطالها وتستثنى من تحب وذالك من أجل لفت انتباه أفراد المجتمع إلى ما يحيط بهذا الجسد المنهوك الذي ترعبه ليلة الفرح.

إن **الربط والتصفيد** هو نوع من الاغتصاب الخفي الذي يعد موتا مؤقتا أو خفيا، موت بشع لأنه يأتي من ثنائية الاغتصاب والتصفيد الذي لم يهتم به المجتمع ليشرع له قوانين رادعة تحمي الجسد المنهوك، وبشع لأنه يحمل ثنائية ضدية حائط الأنوثة وانحناء الذكورة، والتهمة ثنائية تشكيك في عفة الأنوثة وفي فحولة

الذكورة التي لم تستطع إنجاز الفتح. تقول الرواية: تقترب سهام ابنة عم البطلة منها وتوشوش لها:

هل رأيت العروس، كانت مصفحة (ص26)

لم ترد عليها. تقول: كرهت نفسي وكرهت منظر النساء.¹⁴

إن الحديث عن المصفحات¹⁵ وتخليله في صفحات الرواية، يعد فلقا حضاريا يثير الوجع! وسبقا سرديا وسمة حميدة تحسب لفضيلة الفاروق. لذا قمت باستبيان في شهر أبريل سنة 2007 على عينة ضمت ستين طالبة كانت الإجابة من ثمانية وخمسين وكانت النتائج كالتالي:

76.3 بالمائة لا يؤمن بالتصفيد

92.72 بالمائة لا يعاني من التصفيد

60 بالمائة لا يرى فيه واقيا

94.54 يفضلن التربية الصالحة على التصفيد

29.09 منهن مصففات (النسبة مرتفعة في نظري كمتفق)

نسبة الخوف من عقدته بلغت 40 بالمائة

الملاحظة الإيجابية التي توقفنا عنها هي أن 83.63 بالمائة يرفضن التصفيد مما يؤيد رأي الكاتبة " ما أبشر أن تكون الواحدة منا عروسا، وأن نسبة الخوف على البنت تكون لدى الأم باعتبارها هي التي تقوم بالتصفيد فاللائي صفتنهن أمهاطن بلغن 37.5 بالمائة ثم العمة 15.50 بالمائة.

وأخير فإن نسبة 60 بالمائة من البنات لا يعلمون بأنهن مصففات وهذا قد يثير قلقا لديهن وربما نستنتج أيضا أن الحوار بين الأم والبنت يكون محطة السؤال مادامت هذه النسبة تجهل إن كانت مصفدة أو غير مصفدة، وهي نسبة تثير القلق بمعنى أن الموت يحيط بالجو الأسري وأن التواصل الذي يحيى النفوس ينعدم، لا أقول هذا الذي تقصده الكاتبة إنما هذا مدار الرعب بين النساء المربوطة والباء المفتوحة.

نقوم الرواية بممارسة فعل القتل عن طريق الأب على أصغر أنثى مشروع بناء الأسرة "ريمي" الصغيرة التي اغتصبت من قبل رجل أحدب وقصير في الأربعين من عمره يقوم والدها برميها من أعلى جسر في البلاد العربية جسر "سيدي مسید" بقسنطينة.

هذه قسوة الأهل ضد المغتصبات ولو في سن مبكر، سن الصغرىات. "يمينة" الكبرى رفضها أهالها ولم يعترفوا بها رغم علمهم بأنها خطفت وأمام أعينهم، ولما زارها أخوها الجندي وجدها قد ماتت. فالرواية مارست فعل القتل والموت على "يمينة" لحظات قصيرة قبل دخول أخيها الذي -ربما- سيعترف بها ويعرف من معناوياتها لأنه من الجيل الجديد لكن الكاتبة لم تتمكنه من ذلك، لأنها تمارس فعل المجتمع وتعكس واقعه ومعتقداته وثقافته عبر صفحات الرواية.

ورغم ذلك ففضيلة الفاروق تبحث عن "هواء لا تملؤه رائحة الاغتصاب"¹⁶ كما تقول، ولا رواح الموت، إذن لابد من "الرحيل" والرحيل في حد ذاته موت لأنه يعادل البقاء، والبقاء موت.

إن البقاء في الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي يساوي الانتحار أو الموت ومن ثم فالبقاء بالنسبة للأنتى المبدعة كفضيلة أو أي صحافية أو كاتبة جريئة معناه الانتحار أو الموت ومن ثم تكون المعادلة كالتالي:

التصفيد = الموت

البقاء = الانتحار

البقاء = الاغتصاب

البقاء = الموت غدا

الرحيل = ثنائية ضدية البقاء والموت.

إن الرحيل هو نوع من الموت لأن الحياة في بلاد الغير هي كالموت مهما توفرت سبل العيش الحضارية، فرائحة التراب والأهل والتوابيل الروحية التي

تبثق من هنا وهناك ومن مختلف تضاريس هذا الوطن هي التي تتعيش النفس
وتدفع عنها الحزن ولو كانت الحياة شاقة.

الرحيل هو نوع من الموت الثاني، وهو نوع من الاحتجاج على ما هو
سائد في الوطن في التسعينيات من القرن الماضي (1991 إلى 2007 لأن الموت
بفعل الإرهاب لم ينته بعد).

في هذه المعادلة يغدو الرحيل وما فيه من الضجر والقلق النفسي والحسرة
التي تصحب هذا الرحيل لأفضل من البقاء المحاط بالثلاثي الملعون:

1 الموت غدرا برصاصة طائشة، أو برصاصة تنطلق من مسدس جبان
لأنه لا يقوى على المواجهة النذللند فكرا وبدنا.

2- الاغتصاب تحت سلطة "المخشوشة"¹⁷ والسيف السلط على الرقاب وما
شابه ذلك.

3- الانتحار سببه في الرواية: السبي والاغتصاب عنوة، وال فعل القبيح أمام
الجمع متى رفضت الحرمة الامتثال لرغبات الخاطفين.

وفضيلة تعالج في روایتها قضية الأنثى الجسد المنهوك لا من زاوية تسلط
الذكور على الإناث، وإنما من زاوية امرأة تنتمي بجذورها العميقة في التاريخ إلى
مجتمع كانت السيادة فيه للمرأة أيام "ديهيا".*

فضيلة كل الأوراسيات اللائي نشأن في الريف يعشن بعقلية "ديهيا" التي
اختصرها في هذا المثل البلوي القائل "يما بابا ساكو يشور" أي ما معناه "ملء
الخزينة أبي وأمي".

إن تمردتها أو رفضها جاء نتيجة وراثية لا كنتيجة مكتسبة من التعليم
المزدوج أو من المدينة، جاء من بيئتها الأوراسية الجبلية التي منحت للمرأة لا
أقول هامشا واسعا من الحرية وإنما حرية تامة.

أنا لا أتحدث عن التحرر وإنما عن الحرية كان الرجل في الأوراس يقدس
المرأة كما قدسها الإسلام ويحترمها وسن لذلك قوانين هي بمثابة العرف في

القانون المدني الحالي، يمكن المرأة من ممارسة شؤونها بكل حرية دون أن يعترضها الرجل ولو بنظرة. أكد لكم جازماً أن هذه الحرية هي التي جعلت ظاهرة الطلاق وهو أبغض الحال عند الله يكون سهلاً في المناطق الأوراسية، وقد تطلق المرأة الرجل طبقاً للمثل السابق الذي أوردته في معرض حديثي عن التمرد والحرية، لذا فهي تتظر إلى القمع الاجتماعي الواقع على المرأة من هذه الزاوية زاوية حفيدة "ديهيا" أو لا زاوية المرأة المتعلمة ثانياً.

ففي حواراتها التي قرأتها لا تتهجم على الدين أو تزدريه كما ينظر إليها بعض المثقفين والذين يدعون أنهم قرأوها، ففي مختلف خطاباتها الإلكترونية التي ترسلها لي، كنت أجد فيها ولها دائماً وجهة نظر صائبة تجاه الدين، وأن مسألة الدين ونظرته للمرأة زيفت من قبل أدعيائه. (لا ننس بأنها من أسرة متدينة أباً عن جد أسرة متعلمة كانت تمارس الطب وأغلب أفراد أسرتها دكاترة في العلوم الدقيقة).

هذا الدين الجديد هو الذي جاء بثقافة جديدة سلطة الذكور على الإناث، لكن سلطة الأمومة الموروثة في العروق بقيت سائدة في المرأة الأوراسية وبقي ذلك الرفض ملزماً لها في دمائها، ففضيلة لا ترفض قيم الإسلام وإنما ترفض القيم التي بالغوا فيها إلى أن وصلت درجة التحرير، المرأة لا تتكلم، لا تتعلم، لكي لا تعرف الكتابة وحتى لا تكون ساحرة، لا ترفع رأسها، تصدق عند سؤال سائل عن رب البيت حين يكون غائباً، ربما لأن الأذن تعشق قبل العين أحياناً.

إذن رفض فضيلة فيه من الأصلة ما يبني لا ما يهدم لأن فيه من الحشمة ما يدل على ذلك.

فضيلة في روایتها مارست كل شيء، مارست الحب، والقتل والرحيل، أي جنون هذا الذي تفعله هذه الروائية الصاعدة. كيف لعاشرة¹⁸ كالراوية تعشق نصر الدين وتعمل جاهدة على إبعاده عن القتل وفي ذات الوقت تقتل أبطالها وتتكبّهم وتجنّبهم وتتلذذ بجنونهم تلذذ الكتابة الإبداعية أو ترحلهم هذا ما تقوله في صفحة

87 "قتلت كل أبطالي تقريباً لم يبق غير نصر الدين أبعدته أكثر من مرة عن الموت اخترع له ألف سبب للقائي ولكن بطلتي التي ارتدت قناعها لم تعد تفكر بالحب صارت تفكير بالرحيل." وهذا القول جعلني أخلص إلى مصير الشخصيات في تاء الخجل والذي حدته بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة وهو: "رزيقه" انتحرت، "يمينة" المغتصبة ماتت و"يمونة" الصغرى أخرست بفعل أمر من والدتها "tais toi yamina" (معنى اصمتني) وسكتت إلى الأبد وهذا ما يجسد فعل القمع الممارس ضد الأنثى. أما "رواية" فجنت وهذا نوع من إسقاط الذات الفنية على شخصها إذ لابد "لرواية" أن تجن ليكتمل فعل القص والإبداع وإن فضيلة الفاروق ستخسر فعل السرد إلى الأبد وينتهي فعل القص ولا نتمكن من قراءة "اكتشاف الهوة".

¹- فضيلة الفاروق: تاء الخجل (رواية) دار الرايس بيروت ص 26

*- المجتمعات العربية كانت تند الأنثى خوفاً من العار

** في الغالب لا تعلم أنها مصفدة اللهم إذا صفت وهي كبيرة في سن السادسة فما فوق

2- تاء الخجل ص 26

3- المصفحات: تعني بين البنات المصففات. والتصفيف هو عملية سحرية تقوم بها الأم أو العمة أو أي امرأة تجاه البنت في سن مبكرة لأن تمررها على خطيب سبع مرات وتقول للبنت أنا خطيب يعني جدار وهو خطيب والبنت تردد معها. أو توشم لها في فخذها أو تقوم بإحضار سبع حبات حمص وتعقد عليها عملية التصفيف وفي كل ذلك تردد البنت أنا خطيب وهو خطيب. وتصبح أنوثة البنت مستحيلة الخرق من أي كان إلا إذا أزيل عنها التصفيف ولا يمكن إزالته إلا من قبل المرأة التي قامت بالتصفيف إنما ذلك يصبح المستحيل ممكناً. ويتمكن الذكر من الولوج في الأنثى وتم عملية الفتاح وهذه العملية موجودة ومتداولة في مختلف المناطق ومجربة.

4- نفسه ص 37

5- المحشوسة: بندقية صيد تقص قصبتها لتصبح خفيفة وعملية

*- ديهيا: هي اسم ملكة الأمازون التي أطلق عليها العرب أثناء الفتح الإسلامي اسم الكاهنة

**- ساكوا: هو بمثابة كيس مزدوج كبير ينسج من الصوف والشعر توضع فيه الحبوب كالقمح له قدرة استيعاب تصل إلى القطرانين. يشور: (بتشديد الشين وضمها) مملوء.

6- العشق قمة الحب- يأتي بعد هذه المراتب: الغرام. 2- الإفتقان. 3- الوله. 4- الدهش. 5- الفناء عن رؤية النفس.

7- فضيلة الفاروق: تاء الخجل (رواية) دار الرايس بيروت ص 26

*- المجتمعات العربية كانت تند الأنثى خوفاً من العار

** في الغالب لا تعلم أنها مصفدة اللهم إذا صفت وهي كبيرة في سن السادسة فما فوق

8- تاء الخجل ص 26

9- المصفحات: تعني بين البنات المصففات. والتصفيف هو عملية سحرية تقوم بها الأم أو العمة أو أي امرأة تجاه البنت في سن مبكرة لأن تمررها على خطيب سبع مرات وتقول للبنت أنا خطيب يعني جدار وهو خطيب والبنت تردد معها. أو توشم لها في فخذها أو تقوم بإحضار سبع حبات حمص وتعقد عليها عملية التصفيف وفي كل ذلك تردد البنت أنا خطيب وهو خطيب. وتصبح أنوثة البنت مستحيلة الخرق من أي كان إلا إذا أزيل عنها التصفيف ولا يمكن إزالته إلا من قبل المرأة التي قامت بالتصفيف إنما ذلك يصبح المستحيل ممكناً. ويتمكن الذكر من الولوج في الأنثى وتم عملية الفتاح وهذه العملية موجودة ومتداولة في مختلف المناطق ومجربة.

10- نفسه ص 37

11- المحشوسة: بندقية صيد تقص قصبتها لتصبح خفيفة وعملية

*- ديهيا: هي اسم ملكة الأمازون التي أطلق عليها العرب أثناء الفتح الإسلامي اسم الكاهنة

**- ساكوا: هو بمثابة كيس مزدوج كبير ينسج من الصوف والشعر توضع فيه الحبوب كالقمح له قدرة استيعاب تصل إلى القطرانين. يشور: (بتشديد الشين وضمها) مملوء.

12- العشق قمة الحب- يأتي بعد هذه المراتب: الغرام. 2- الإفتقان. 3- الوله. 4- الدهش. 5- الفناء عن رؤية النفس.

13- فضيلة الفاروق: تاء الخجل (رواية) دار الرايس بيروت ص 26

* - المجتمعات العربية كانت تند الأنثى خوفاً من العار

** في الغالب لا تعلم أنها مصفدة اللهم إذا صفت وهي كبيرة في سن السادسة فما فوق

14- اثناء الخجل ص 26

15- المصففات: نعني بهن البنات المصففات. والتصفيف هو عملية سحرية تقوم بها الأم أو العمدة أو أي امرأة تجاه البنت في سن مبكرة
كأن تمررها على خيط سبع مرات وتقول للبنت أنا حيط يعني جدار وهو خيط والبنت تردد معها. أو توشم لها في فخذها أو تقوم
بالحضار سبع حبات حمص وتعقد عليها عملية التصفيف وفي كل ذلك تردد البنت أنا حيط وهو خيط. وتصبح أنوثة البنت مستحبة لفرق
من أي كان ما كان إلا إذا أزيل عنها التصفيف ولا يمكن إزالته إلا من قبل المرأة التي قامت بالتصفيف إنما ذلك يصبح المستحيل ممكناً.
ويتمكن الذكر من الولوج في الأنثى وتنتم عملياً للفتح وهذه العملية موجودة ومتدولة في مختلف المناطق ومجربة.

16- نفسه ص 37

17- الحشوша: بندقية صيد تقص قصبه لتصبح خفيفة وعملية

* - بيهيا: هي اسم ملكة الأمازيغ التي أطلق عليها العرب أثناء الفتاح الإسلامي اسم الكاهنة

** - ساكوا: هو بمثابة كيس مزدوج كبير ينسج من الصوف والشعر توضع فيه الحبوب كالقمح له قدرة استيعاب تصل إلى القنطرتين.

يشور: (بتشديد الشين وضممه) مملوء.

18- العشق قمة الحب- يأتي بعد هذه المراتب: الغرام. 2- الإفتان. 3- الوله. 4- الدهش. 5- الفناء عن رؤية النفس.